

”مظاهر العلاقة بين المحلة السكنية والجامع

المحلة الموصلية القديمة أنموذجاً

دراسة اجتماعية – أنثروبولوجية

م. حارث علي حسن *

تأريخ القبول: ٢٠١٢/٦/١٩

تأريخ التقديم: ٢٠١١/١٢/٢٨

المقدمة

إن العلاقة بين النظم الاجتماعية في البناء الاجتماعي Social Structure للمجتمع، تلعب دوراً مهماً في أداء الأدوار والوظائف بصورة طبيعية تكاد أن تخلو نسبياً من المشكلات والصعوبات، وإن الجامع كمؤسسة دينية يلعب دوراً مهماً في الحياة الاجتماعية داخل المجتمع، وعليه ارتأى الباحث القيام بهذا البحث للوقوف على ماهية العلاقة بين الجامع والمحلة الموصلية القديمة. أي بدأ بوظيفة الجامع ثم معرفة أثر المحلة عليه وإنهاءً بالوصول إلى شكل ونمط العلاقة التي تربط بينهما. وقد تضمن ثلاثة مباحث فضلاً عن المقدمة والخاتمة.

أما المبحث الأول فقد تضمن الإطار المنهجي للبحث، في حين اشتمل المبحث الثاني على التسانيد الوظيفي ما بين الجامع والمحلة، وتضمن المبحث الثالث نماذج من العلاقة الوظيفية بين الجامع والمحلة الموصلية القديمة، أما الخاتمة فتضمنت النتائج والتوصيات، فضلاً عن الهوامش والمصادر.

* قسم علم الاجتماع / كلية الآداب/ جامعة الموصل.

أولاً: تحديد مشكلة البحث :

إن الأحياء القديمة في مدينة الموصل تنسم بسمات مميزة، سواء في طرازها العمراني أو تنظيمها الاجتماعي. ويلعب ضيق أزقتها وانغلاقها والتفافها حول نفسها والتصاق وحداتها من بيوت ومساجد ودكاكين دوراً مهماً في رسم صورة محددة للحياة الاجتماعية Social Life اليومية، وأداء وظائف متعددة ومتنوعة مادية ومعنوية.

ويعد الجامع جزءاً من مورفولوجية المحلة الموصلية القديمة، وأن موقعه الذي يتوسطها نسبياً يجعله محوراً للتفاعل الاجتماعي Social Interaction، فهو المكان الذي يمثل الجانب الروحي والنفسي لأبنائها. وتقوم الجماعات الاجتماعية Social Groups فيه بعدة وظائف تتجلى على شكل نشاطات اجتماعية واقتصادية وثقافية وتربوية وخدمية لأبناء المحلة الواحدة. وبهذا تتمحور مشكلة البحث في الإجابة على التساؤلات الآتية. . ما دور المسجد في محلته؟ ما وظيفته فيها؟ ما الذي تقدمه المحلة لمسجدها؟ وما أهم مظاهر العلاقة بينهما؟ وهل هناك تساند وظيفي بين المسجد ومحلته؟

ثانياً: أهمية البحث

الأهمية النظرية:

إن البحث قد يوفر مجموعة من المعلومات الحقيقية والواقعية التي يمكن الاستفادة منها في مجال البحوث والدراسات الاجتماعية والأنثروبولوجية اللاحقة.

الأهمية التطبيقية:

إن البحث محاولة لإعطاء صورة واضحة لماهية العلاقة بين الجامع ومحلته في الأحياء الموصلية القديمة، لما لها من أهمية لاسيما في حياة الأفراد

الاجتماعية في المحلة في الظرف الراهن بما فيها من صعوبات معيشية وضغوطات أمنية واقتصادية.

ثالثاً: أهداف البحث

يسعى البحث إلى تحقيق الأهداف الآتية. -

- ١- معرفة وظيفة الجامع في المحلة الموصلية القديمة.
- ٢- الوقوف على نمط العلاقة بين الجامع ومحلته في الأحياء الموصلية القديمة.
- ٣- معرفة أهم العوامل المؤثرة في تحديد نمط العلاقة بين الجامع والمحلة القديمة.

رابعاً: منهج البحث

اعتمد الباحث على منطلقات النظرية البنائية الوظيفية كمدخل نظري للبحث، وتوظيفها في فهم العلاقة بين مورفولوجية المدينة ومنها الجامع والمحلة القديمة موضوع بحثنا. وكذلك الاتجاه السوسيوأنثروبولوجي في الوصف والتحليل، من خلال المزوجة بين علمي الاجتماع والانثروبولوجيا. فضلاً عن منهج دراسة الحالة Case study. أما أدوات البحث لجمع المعلومات فكانت المقابلة Interview والملاحظة البسيطة Simple Observation والملاحظة بالمشاركة Participant Observation بوصف الباحث جزءاً من مجتمع الدراسة، فضلاً عن الاستعانة ببعض التقنيات ومنها كاميرا التصوير الفوتوغرافي لتوضيح الطراز العمراني لبعض الأماكن.

خامساً: مجالات البحث

إن المجال الزمني لانجاز البحث من ١/١٠/٢٠١١ إلى ١/٥/٢٠١٢،
أما المجال المكاني فكان محلات باب البيض والمشاهدة والشيخ فتحي السكنية،
في حين تمثل الجانب البشري بساكني هذه المحلات السكنية.

سادساً: تحديد المصطلحات العلمية

المسجد / الجامع .

المسجد، بكسر الجيم الموضع الذي يسجد فيه.

الجامع، هو نعت للمسجد، ونُعت بذلك لأنه علامة للاجتماع^(١). ويوصف المسجد
الذي تقام فيه صلاة الجمعة بـ (الجامع) لأنه يجمع الناس في وقت معلوم^(٢).

أما التعريف الإجرائي للجامع في بحثنا فهو " المكان الذي يقصده
المسلمون للاجتماع والعبادة وله عدة وظائف دينية واجتماعية واقتصادية
وتربوية وثقافية ".

المحلة

وتعرف بأنها، الجماعة الأولية التي تنشأ تلقائياً في منطقة صغيرة متميزة
ومحدودة مكانياً، تجمعها المشاركة الودية بين أعضائها الذين يقيم بعضهم بجوار
البعض الآخر وتربطهم علاقات شخصية مباشرة ووثيقة ومستمرة نسبياً^(٣). كما

(١) الألوسي، محمد شكري، تهذيب محمد بهجة الأثري، تاريخ مساجد بغداد، مطبعة دار
السلام، بغداد (العراق)، ١٣٤٦ هـ، ص ٥.

(٢) الزركشي، محمد بن عبد الله، إعلام المساجد بأحكام المساجد، الكتاب الخامس،
القاهرة (مصر)، ١٣٣٨، ص ٣٠.

(٣) لطفي، طلعت إبراهيم، أثر الحضرية في (جماعات الجيرة)، المجلة العربية للعلوم
الإسلامية، مطابع دار الوطن، الكويت، بدون تاريخ، ص ٩٣.

عرفها العالم مان P. Mann (أنها يمكن تصورها بالدرجة الأساس على أنها أداة للإصلاح الاجتماعي أو العمل الاجتماعي)^(١). في حين عرفها العالم كريستوفر Christopher بأنها (تنظيم إجتماعي من السكان ممن يسكنون في موقع جغرافي متقارب وهذا لا يشمل فقط الروابط الاجتماعية بين أفراد معينين من السكان بل يشمل روابط تلك المجموعة جميعاً مع الأفراد غير المتجاورين)^(٢).

ونعرف المحلة إجرائياً بأنها "مجموعة من السكان يسكنون موقعاً جغرافياً معيناً تربطهم علاقات إجتماعية قرابية أو غير قرابية تؤدي وظائف معينة".

المبحث الثاني / ماهية العلاقة بين المحلة السكنية والجامع

تمهيد:

إن المدينة تنقسم إلى أحياء وهذه تنقسم بدورها إلى محلات تحتوي على وحدات مختلفة ومتنوعة بتنوع الحياة الاجتماعية والثقافية والاقتصادية. إن حدود المجتمع وأنماط السلوك في الحياة الاجتماعية تؤثر في ثبات واستقرار البناء

(١) P. Mann, An Approach to Urban Sociology, Routledge and Kegan Paul Ltd, London, ١٩٧٠. p. ١٥٠.

(٢) Christopher. J. Smith, Neighborhood Effects on Mental Health, in Geography and Urban Environment, Progress in Research and Applications, volume ١١١, edited by: D. T. Herbert and R. J. Johnston, (New Delhi, ١٩٨٠), P. ٣٦٧.

مظاهر العلاقة بين المحلة السكنية والجامع" المحلة الموصلية القديمة أنموذجاً دراسة اجتماعية أنثروبولوجية-
م. حارث علي حسن

الاجتماعي سواء في الديناميك أو الاستاتيكي^(١). وعليه فإن المحلة يمكن أن تشكل
بناء متعدد الوظائف سواء في طرازه العمراني أو تنظيمه الاجتماعي.
إن مورفولوجية المحلة من بيت ومسجد وجامع ودكان وحمّام (سابقاً)
وأزقة تتداخل في وظائفها وتختلف في آليات أدائها لتنتج وظيفة قد تكون متكاملة
ناבעاً من الاختلاف في الأداء سواء في الكم أو النوع.
أولاً: نشأة الجامع:

إن المنطقة التي نزل بها الرسول (ﷺ) تعد بداية العمل الإنشائي
للتكوينات المعمارية الجديدة، وكان نواتها (المسجد الجامع)، ومن حوله أنشئت
منازل المهاجرين الموزعين في أحياء الأنصار^(٢). وهذا ما يجعل الجامع يتوسط
المنطقة السكنية منذ بناء أول جامع في الإسلام، وإن هذه الوسيطة تجعل الأبنية
ملتفة حوله وتحتضنه بشكل يجعل المساكن مترابطة بشكل يعكس التضامن
والتماسك في مواجهة التأثير الخارجي مما يوفر وظيفة أمنية للمنطقة. وإن
المدينة مازالت منقسمة إلى أحياء ومناطق ومحلات، وأن لكل حي مسجداً وسوقاً
ومقبرة خاصةً و يسمى المسجد باسم المحلة^(٣).

ثانياً: الجماعة والجامع

إن المسجد هو بيت الله (سبحانه وتعالى)، ثم هو بيت الجماعة وبيت كل
فرد فيها، وهو الشيء الوحيد الذي تملكه الجماعة مشتركة، ليكون مركز ترابط

(٢) Shichen Fan, sociological contemplation on the preparation and implementation of urban planning in china, ٢٠١١.

(١) عثمان، محمد عبد الستار، المدينة الإسلامية، سلسلة عالم المعرفة، مطابع الرسالة،
الكويت، ١٩٨٨، ص ٥٣.

(٢) الصوفي، أحمد، خطط الموصل، ج ١، مطبعة أم الربيعين، الموصل (العراق)، ١٩٥٣،
ص ٦.

الجماعة الإسلامية وهيكلها المادي الملموس^(١)، فالجماعة والجامع يرتبطان ببعضهما بشكل كبير، وحيثما كانت الجماعة كان الجامع لأنها هي من تؤسسها وتبنيه وتنشئه، وأما الجامع ففيه تتشكل الجماعة وتنفرع وتنطلق إلى ميدان المجتمع لتؤدي وظائف من خلال أدوار معينة داخل التنظيم الاجتماعي للمجتمع.

ثالثاً: العلاقة الوظيفية بين الجامع والمحلة

لكل نظام اجتماعي وظائفه الخاصة والعامة، إلا أن كل واحد يعتمد على الآخر ويرتبط معه بعلاقة جدلية قائمة على التأثير والتأثير^(٢). أي أن لكل نسق وظيفة داخلية خاصة بمكوناته تختص بنشاط معين داخل حدوده، وخارجية عامة تهتم بعلاقته مع الأنساق الأخرى من خلال أداء وظائف تكمل ما تفقده داخل التنظيم الاجتماعي للمجتمع. وأصبح المسجد النواة الرئيسة للمحلة، فقد تعددت الوظائف التي يقدمها المسجد لسكان المحلة، فهو المركز الديني والمكان الملائم لاجتماعهم، فضلاً عن دوره في تعليم القراءة والكتابة وأصول الدين مما جعله مركز اتصال بين أفراد الجماعة الإسلامية^(٣). فالمسجد ليس بناءً عاماً وحسب بل إنه يمس روح الفرد في المجتمع الإسلامي عندما يتردد إليه خمس مرات في اليوم، ويطلب الراحة النفسية والروحية بهدف تحقيق التواصل مع خالقه سبحانه تعالى^(٤). مما يؤكد أهمية العلاقة وحتميتها بين الجامع والمحلة بأفرادها وجماعاتها وعلى الاتجاهات والجوانب جميعاً في الحياة الاجتماعية. إن المؤسسة

(٣) مؤنس، حسين، المساجد، سلسلة عالم المعرفة، مطبعة الأنباء، الكويت، ١٩٨٨، ص ٣٤.

(١) العزوي، فهميم سليم، المدخل إلى علم الاجتماع، ط ١، دار الشروق، بيروت (لبنان)، ١٩٩٢، ص ٢٣٧.

(٢) الصوفي، أحمد، خطط الموصل، ج ٢، مطابع الإتحاد الجديد، الموصل (العراق)، ١٩٥٣، ص ٧.

(٣) السمالوطي، نبيل محمد توفيق، الدين والبناء الاجتماعي، ط ١، ج ٢، دار الشروق للطباعة، جدة (المملكة العربية السعودية)، ١٩٨١، ص ٤٣.

مظاهر العلاقة بين المحلة السكنية والجامع" المحلة الموصلية القديمة أنموذجاً دراسة اجتماعية أنثروبولوجية-
م. حارث علي حسن

الدينية Religious Institution تهدف إلى تقوية العلاقات الاجتماعية في المجتمع، لأن الفرد يشعر بالمشاركة الروحية والعاطفية مع أفراد مجتمعه^(١). وبما أن المحلة جزء من المجتمع فإن المؤسسة الدينية المتمثلة بالجامع تقوم بعدة وظائف في المحلة، منها .

١/ الوظيفة الدينية Religious Function

إن الوظيفة الدينية الأساسية هي إعداد المسلم وتقويم خلقه وسلوكه وعمله وعبادته وعلاقاته بربه وبنفسه وأخيه المسلم^(٢). وأن التعاليم الدينية تعنى بتنظيم المجتمع عن طريق خلق الضبط الذاتي والاجتماعي في المجتمع^(٣). وهذا ينعكس على المحلة ويخلق نمطا من العلاقات الاجتماعية الأولية Primary social Relationships والتفاعل الاجتماعي Social Interaction المباشر المبني على القيم الدينية Religious Values التي تدعو إلى التسامح وحب الخير للآخرين وتقديم المساعدة لهم من خلال الخطب المسجدية يوم الجمعة، ويلعب حجم الجماعة ونمط العلاقات القرابية التي تربطهم فضلاً عن علاقات الجيرة دوراً في الالتزام بتلك التوجهات بسبب التأثير المتبادل بين بعضهم البعض. مما جعل الجامع منبعاً للقيم العليا التي يقتدي بها الفرد في حياته الاجتماعية.

(٤) الجولاني، فادية عمر، مبادئ علم الاجتماع، مؤسسة الشباب الجامعة للطباعة، الإسكندرية(مصر)، ١٩٩٣، ص٢٧٧.

(١) أحمد، هند عبد الله، المسجد- دراسة اجتماعية، رسالة ماجستير (غير منشورة)، مقدمة إلى قسم الاجتماع، كلية الآداب، جامعة الموصل(العراق)، ٢٠٠٦، ص٤٤.

(٢) الفوال، صلاح مصطفى، علم الاجتماع العربي الإسلامي، دار الفكر العربي، القاهرة (مصر)، ١٩٨٢، ص١٥١.

٢/ الوظيفة الاجتماعية Social Function

إن المؤسسة الدينية لها دور مهم في عملية التنشئة الاجتماعية عن طريق وسائلها المباشرة وغير المباشرة بالتوجيه والوعظ^(١). ويعد المسجد تنظيمياً اجتماعياً له دور كبير في المجتمع، إذ يتيح للفرد فرصة التقرب من جيرانه مما يحقق التعاون الاجتماعي بين الأفراد، فضلاً عن دوره في وقاية الفرد من الشعور بالعزلة والوحدة الاجتماعية^(٢). وهذا يكمل دور الأسرة Family ووظيفتها في التنشئة الاجتماعية Socialization ويجعلها عملية مترابطة من خلال التأكيد على القيم Values والعادات Customs والتقاليد Tradition النابعة من الثقافة الأصيلة ذات العمق التاريخي والحضاري للمجتمع، مما يجعل المساجد الجماعة المرجعية لسكانها لما تحويه من أخلاق وسلوكيات مثلى تظهر في تعاملهم اليومي. وهذه السلوكيات تكون في الغالب مشتركة فيما بينهم تميزهم عن المحلات الأخرى.

إن المسجد من المؤسسات التي لها دور اجتماعي، فهو مركز إشعار وتوجيه لمجموع المسلمين الذين يسكنون الحي الذي يقع المسجد فيه^(٣). ويؤدي دوره من خلال حل بعض المشكلات الاجتماعية Social Problem والتأثير في شخصياتهم الاجتماعية بشكل إيجابي ومساعدة الأسرة في تعزيز دورها في التنشئة الاجتماعية وإعداد أفرادها وجعلهم ممن يخدمون أسرهم ومجتمعاتهم

(٣) عبد الحسين، صبيح علي، دور التنظيم الاجتماعي في بناء المجتمع، أطروحة دكتوراه (غير منشورة)، مقدمة إلى قسم الاجتماع، جامعة بغداد (العراق)، ١٩٩٦، ص ١٠١.

(١) شرفاء، محمد الأكل، البعد التربوي الاجتماعي في العبادات الإسلامية، مجلة دعوة الحق، العدد (٢٧٣-٢٧٩)، صادرة عن وزارة الأوقاف في المغرب، ١٩٨٩، ص ١٧.

(٢) عبد الكريم، أحمد، المسؤولية الأمنية للمؤسسات التعليمية، الرياض (المملكة العربية السعودية)، ٢٠٠٤، www.mihsnawi.com All rights reserved.

مظاهر العلاقة بين المحلة السكنية والجامع" المحلة الموصلية القديمة أنموذجاً دراسة اجتماعية أنثروبولوجية-
م. حارث علي حسن

ومجتمعهم، من خلال تقويم سلوكيتها وتهذيب أخلاقهم. وهذا يشكل ضابطاً اجتماعياً ذاتياً لهم يحميهم في حياتهم الاجتماعية داخل أسرهم وخارجها وفي مجال عملهم داخل مؤسسات المجتمع.

إن للمسجد دوراً في تربية الفرد وتكوين ضميره وشخصيته وسلوكه الاجتماعي، فضلاً عن دوره في تحقيق التكافل الإنساني الذي يهيئ الأفراد ويعدهم للحياة الاجتماعية^(١). ويمكن أن يكون مكاناً لتنشئة الشباب لما يقدمه من دور مهم في توجيه ثقافة المجتمع وحمايتها^(٢). وأن ذلك يجعل الفرد يشارك الآخرين جزء من مسؤولياتهم وواجباتهم في حياتهم من خلال هذا التكافل على مستوى القرابينة Kinship والجيرة Neighborhood والمجتمع society، وهذا يخفف الكثير من الصعوبات الاجتماعية والاقتصادية التي تواجه الأفراد في حياتهم اليومية. وهذا يعزز روح الجماعة ويضعف النزعة الفردية ويقوي العلاقات الاجتماعية ويرتقي بالشخصية الاجتماعية Social Personality من خلال تعزيز قيم الإيثار والتسامح على مستوى الفرد والأسرة والجيرة والمحلة والمجتمع.

إن الطراز العمراني للمساجد التي تقع داخل المحلة الموصلية القديمة والتي تقترب مورفولوجيتها من البيت الموصلية التقليدي، يلعب دوراً على مختلف الجوانب، من العلاقات الاجتماعية الحميمة والتفاعل الاجتماعي، وإن هذا يخلق بيئة اجتماعية مقاربة لما هي عليه في البيت الموصلية التقليدي داخل المحلة والزقاق. مما يعطي ساكنيها الإحساس بالقوة والتأخي الذي يربط الأفراد

(٢) قطب، سيد، دراسات إسلامية، ط٥، مطابع الشروق، بيروت (لبنان)، ١٩٨٠، ص ٦٥.
(١) المرصفي، محمد علي، المسجد ودوره التربوي في العصر الحديث، مجلة التضامن الإسلامي، السنة ٤٤، ج ١، صادرة عن وزارة الأوقاف، مكة المكرمة (المملكة العربية السعودية)، ١٩٨٩، ص ٣٧.

مع بعضهم البعض، والذي ينبع من مشاعر التعاون والتسامح والمودة^(١). وهذا ينعكس على حياتهم اليومية بما فيها من قوة في العلاقات وسيادة الروح الجماعية وغياب الفردية والتعاون بين أبناء المحلة الواحدة والاستعداد لتقديم المساعدة للآخرين ليعكس تماسك وتضامن أفراد هذه الأحياء^(٢). وقد تصل أحيانا إلى المنافسة competition. والتي تزاوجت أصول الأفكار الاجتماعية والبيولوجية حول مدلولها، وقد فهم في المدينة على انه الصراع بين الأفراد للحصول على مواقع متميزة فوق الرقعة الجغرافية الواحدة^(٣). مما يجعل المحلة تتضمن مزيج من الظواهر الاجتماعية، منها التفاعل الاجتماعي وصوره من التعاون والمنافسة والصراع والتمثيل الاجتماعي.

إن الوظيفة الاجتماعية للجامع داخل المحلة تكاد تكون مشتركة ومتبادلة بشكل يكمل أحدهما الآخر في الاتجاهات كلها داخل التنظيم الاجتماعي Social Organization من علاقات وتفاعل وتضامن وتماسك وارتقاء بالشخصية.

٣ / الوظيفة الاقتصادية Social Economic

إن الجامع من المؤسسات التي تتسم بأداء الكثير من الوظائف، فبالإضافة إلى الوظيفة الدينية والاجتماعية، يؤدي الوظيفة الاقتصادية التي تتجلى في تقديمه الخدمات والنشاطات المختلفة إلى المحلة. ويتجسد هذا الدور الاقتصادي للمسجد في ترسيخ قيم التكافل الاجتماعي Social Solidarity عند

(١) Youong,k. W. mack, sociology of social life company, New York, ٣rd, ١٩٦٥, p. p. ٢٥٤.

(٣) العبيدي، حارث علي، العشوائيات - دراسة سويوانثروبولوجية في الإقصاء الاجتماعي/المكاني، دار غيداء للنشر والتوزيع، عمان(الأردن)، ٢٠١٢، ص٥٢.

(٣) المكتبة الافتراضية، محمد موصلي، التمثيل الرمزي الجزئي للمواقع السكنية في مدينة جدة، مجلة جامعة الملك عبد العزيز، العدد ١، ١٩٩٩.

مظاهر العلاقة بين المحلة السكنية والجامع" المحلة الموصلية القديمة أنموذجاً دراسة اجتماعية أنثروبولوجية-
م. حارث علي حسن

الفرد وبلورته في شخصيته^(١). وحث الأفراد لاسيما الميسورين منهم على التبرع المادي، سواء بالمال أو الكساء أو الغذاء أو الأجهزة والأدوات المنزلية، وتقديمها إلى الأسر المتعفة والفقيرة والأيتام في المجتمع. فإذا قام كل جامع في محلته بهذا الدور فبالأكيد هذا العمل سيقبل من نسبة الفقر والحاجة داخل المجتمع. ويمكن أن يتم ذلك عبر تشكيل لجان مختلفة، كلجنة للزكاة والصدقات والأرامل والمرضى وغيرها من اللجان، وعادة ما تكون مؤلفة من أبناء المحلة الذين يتمتعون بسمعة طيبة والتزام ديني عالٍ، يعمل على كسب ثقة المتبرعين في إيصال تبرعاتهم إلى محتاجيها. وكذلك أن هؤلاء يمثلون جزءاً من المحلة لأنهم من أبنائها وهم أعلم بأوضاع محلتهم الاقتصادية والمعيشية. ومن الجوامع التي لها نشاطات واضحة في المحلة القديمة، جامع المحسنين وجامع خزرج وجامع الحامدين^(٢).

ويمكن أن يكون الجامع مكاناً لتعلم بعض الأعمال والحرف اليدوية البسيطة لاسيما للنساء المطلقات والأرامل، التي من شأنها أن تعين الأسرة وتساعد في حياتها المعيشية اليومية. ويمكن استغلال بعض الأيام في المسجد لتعليم النساء في الحي بعض الأعمال اليدوية التي يمكن مزاوتها في المنزل وتسهم في زيادة الدخل^(٣). ومن هذه الأعمال، الخياطة والنقش والحياسة التي يمكن أن توفر قدراً من الدخل المالي للأسرة، لاسيما أن الأحياء والمحلات

(٢٤) الحسن، إحسان محمد، علم الاجتماع الديني، مطبعة الرسائل، بغداد(العراق)، ٢٠٠٣، ص٦٢.

(٢) العبيدي، حارث علي، العلاقة الوظيفية بين الجامع والمحلة الموصلية القديمة/ دراسة اجتماعية أنثروبولوجية، مجلة دراسات موصلية، مركز دراسات الموصل، جامعة الموصل(العراق)، العدد ٢٠، ٢٠٠٨، ص٨٢-٨٨.

(٢) محمود، علي عبد الحليم، التربية الاجتماعية الإسلامية، ط١، دارالنشر الإسلامية، القاهرة (مصر)، ٢٠٠١، ص٢٦-٢٧.

القديمة تعاني من ارتفاع نسبة الفقر وهذا يمكن أن يسد جزءاً من حاجة الأسرة وأفرادها. وبالمقابل فإن المحلة ترسل أفرادها سواء من الذكور أو من الإناث لتشكيل الكادر المختص بذلك.

المبحث الثالث / مظاهر العلاقة بين المحلة الموصلية القديمة والجامع

تمهيد:

إن أهل الموصل معروفون بتمسكهم بشعائر دينهم وحبهم لعمارة المساجد والمرابد، فكانت مساجد الموصل تزداد كلما توسعت المدينة وزاد عدد سكانها، فصار فيها عشرات المساجد^(١). ولأهمية الجانب الديني في المدينة ظهر العديد من المحلات السكنية في المدينة القديمة التي اقترنت أسماؤها بأسماء الأنبياء والأولياء ورجال الدين المدفونين في تلك الأماكن، مثل محلة (الشيخ فتحي والنبي جرجيس والنبي شيت وغيرها)^(٢). وهذا يعكس العلاقة بين المسجد والمحلة في مختلف الجوانب العمرانية والاجتماعية والدينية والاقتصادية والثقافية. وعليه سنشير إلى بعض الجوامع الداخلية في المحلات الموصلية القديمة معتمدين على معايير معينة، منها العمق الزمني التاريخي من حيث الإنشاء، والموقع الجغرافي للجامع في المحلة، فضلاً عن نشاطات الجامع ووظائفه في محلته. وقد اختار الباحث جوامع تقع في الأحياء السكنية في الجانب الأيمن من مدينة الموصل القديمة لتكون مجتمع البحث ومنها، (الزيواني - قضيب البان - الإمام الباهر)، ومحلتهما (باب البيض - الشيخ فتحي -

(٣) الديوه جي، سعيد، تاريخ الموصل، ج١، الموصل (العراق)، ١٩٧٥، ص ١٨١.

(١) محمود، موفق ويسى والدكتور محمد حربي، الحياة الاجتماعية في الموصل، موسوعة الموصل الحضارية، ط١، المجلد الخامس، دار الكتب للطباعة والنشر، الموصل (العراق)،

مظاهر العلاقة بين المحلة السكنية والجامع" المحلة الموصلية القديمة أنموذجاً دراسة اجتماعية أنثروبولوجية-
م. حارث علي حسن

المشاهدة)، وهذه تكون متداخلة في أزقتها الضيقة وبيوتها الصغيرة نسبياً المتراصة والملتفة حول نفسها.

أولاً: جامع الزيواني - محلة باب البيض جامع الزيواني:

يعد من الجوامع القديمة في الموصل، وجاء في منهل الأولياء عند كلامه عن الشيخ محمد الزيواني "مدفون في ناحية من الموصل، في وسط العمارة، قريباً من السور، كان له قبة تزار، وبجانبه مسجد صغير، وله فناء واسع. . . . تطوع ببناء المسجد رجال كثيرون في أزمنة متباعدة، وله أراض وبيوت موقوفة كثيرة، ولا نعلم أول من بناه، وفي سنة ١١٩٣ هـ استوهب الوزير الكبير سليمان باشا الجليلي توليته من ناظره السابق، وهدم المسجد واشترى عدة بيوت وألحقها به، وبنى فيه جامعاً كبيراً وعمل للشيخ الزيواني قبة من داخل الجامع، ووضعوا له في وسط فناءه مدرسة^(١). وصار يعرف بجامع الزيواني أو جامع باب البيض لأنه قريب من باب البيض^(٢). وتطوع لبنائه رجال كثيرون في أزمنة متفرقة متباعدة وله أراض وبيوت موقوفة لا نعلم أول من بناه، كما لا نعلم اسم المسجد قيل أن يدفن به الشيخ محمد الزيواني، وذكر المؤرخ العمري في منهله عن الشيخ محمد الزيواني "مدفون في ناحية من الموصل وسط العمارة قريب من السور كان له قبة تزار، وبجانبه مسجد صغير وله فناء واسع" وعلى هذا فقد صار قرب المسجد مرقد الشيخ محمد الزيواني^(٣).

(١) نيقولا، سيوفي، مجموع الكتابات المحررة في أبنية مدينة الموصل، تحقيق ونشر سعيد الديوه جي، مطبعة شفيق، بغداد (العراق)، ١٩٥٦، ص ١٠.

(٢) العمري، محمد أمين بن خير الله الخطيب، منهل الأولياء ومشرب الأصفياء من سادات الموصل الحدباء، حققه ونشره سعيد الديوه جي، ج ٢، مطبعة الجمهورية، الموصل، ١٩٦٨، ص ٩٨.

(٣) الديوه جي، سعيد، تاريخ جوامع الموصل في مختلف العصور، ج ١، ١٩٦١، ص ٢٠٠.

أما الطراز العمراني^(١) للجامع الآن، فإن له بابان، واحد كبير يواجه الشارع الذي يربط بين محلة خزرج ومحلة الطوافة، أما الثاني فهو صغير يؤدي إلى الأزقة الضيقة الصغيرة داخل محلة المياسة. وفيه فناء واسع ومصلى للنساء يقع في الطابق الثاني يحتوي أثاث جيد ومكان للضوء، يعكس تواجد نساء المحلة وإقبالهن على حضور صلاة الجمعة على الأغلب. ويضم الجامع مقبرة صغيرة لعدد من القبور الرمزية حسب رأي إمام الجامع، فضلا عن قبر الشيخ الزيواني بشكله الذي يعكس الإهمال بسبب رفض فئة معينة الاهتمام به يدخل ضمن عبادة القبور وان منعه وتحريمه واجب، والذي يقع بصورة منفردة عن القبور^(٢).



المقبرة الصغيرة في فناء الجامع



قبر الشيخ الزيواني



مصلى النساء في الطابق الثاني من الجامع



الجامع يتوسط المحلة

(١) زيارات الباحث إلى الجامع في ٢٠/١/٢٠١٢.

(٢) مقابلة الباحث مع إمام الجامع في ٢٢/١/٢٠١٢.

محلة باب البيض .

باب البيض سمي بهذا الاسم نسبة إلى انه كان ظاهر سوق تقام صباح كل يوم، يبيع بها الفلاحون البيض وغيرها من منتجات الدواجن والمواشي^(١). ولم تزل المحلة المجاورة له تسمى "محلة باب البيض"^(٢). وتعاقب أبنائها جيلاً بعد جيل في المنطقة، على الرغم من أن قسماً منهم انتقلوا منها بسبب التغيير المكاني والاجتماعي الذي طرأ على المحلة. وتسكنها الآن أسر من عشائر وقبائل ومنها (طيء وفروعها الجواريين والجواله والحريث والسناجرة، وقبائل وعشائر الخوابة والنعيم والحمدانيين والعبيد)^(٣). أما طراز المحلة العمراني، فهو يتسم بالطراز الإسلامي التقليدي بمورفولوجيته المميزة من ضيق الأزقة والتفافها حول نفسها والتصاق وتراص بيوتها القديمة والتي تحتضن المسجد الذي يتوسطها^(٤). وتحيط المحلة محلات خزرج والمياسة والطوافة باب الجديد. وكان بجوار الجامع حمامان، واحد للرجال والثاني للنساء، إلا أنهما تصدعا بسبب الإهمال وعدم إقبال الناس إلى استخدامها، بسبب تغير مورفولوجية المدينة عموماً والمحلة خصوصاً، في البناء والوظيفة، فضلاً عن بناء حمامات داخل البيوت، وهذا حال بقية المحلات السكنية في مدينة الموصل القديمة. وتمتاز

(١) الديوه جي، سعيد، تاريخ الموصل، ج٢، دار الكتب للطباعة والنشر، الموصل، ٢٠٠١، ص١٤٣.

(٢) العمري، ياسين خير الله الخطيب، منية الأدياء في تاريخ الموصل الحدياء، تحقيق سعيد الديوه جي، مديرية دار ابن الأثير للطباعة والنشر، جامعة الموصل، الموصل، العراق، ٢٠٠٩، ص١٧٠.

(١) مقابلات الباحث مع عدد من أفراد كبار السن سكنوا المحلة منذ عام ١٩٤٠ في ٢٠١٢/٣/٢.

(٢) زيارات الباحث إلى المحلة بتاريخ ٢٠١٢/٢/٢٨.

المحلة بوجود العديد من الدكاكين والمتاجر المتنوعة والتي أدت إلى توفير معظم احتياجات أفرادها المعاشية اليومية.

العلاقة الوظيفية بين جامع الزبواني ومحلته. .

١/ الوظيفة الاجتماعية:

إن الوجهاء من أفراد المحلة يشكلون فريق عمل يؤدي العديد من الأدوار الاجتماعية المتنوعة والمختلفة. وهؤلاء لهم مكانة ومنزلة اجتماعية عند أفراد المحلة، وذلك بسبب مواقفهم الايجابية في حل المشكلات الاجتماعية التي قد تحدث في المحلة، مما يجعلهم عامل مهم في الضبط الاجتماعي والحد من بعض أنماط السلوكيات الاجتماعية السلبية، ومن أهم المشكلات الاجتماعية السائدة هي رمي الأوساخ والنفايات أمام البيوت، إذا ما أخذنا بنظر الاعتبار ضيق الأزقة التي يصل بعضها إلى أقل من مترين. ومن المشكلات الاجتماعية الأخرى كذلك، تواجد المراهقين على أسطح البيوت واستمرارهم لوقت طويل في مزاوله هوايتهم السائدة في معظم المحلات الشعبية القديمة (كش الحمام)^(١). مما يجعل نساء البيوت المتجاورة منكشفة أمامهم، بسبب طرازها العمراني الشرقي البناء، وهو ما يرفضه الساكنون. وهنا يؤدي إمام الجامع دورا مهما في حل هذه المشكلات من خلال اللقاءات المباشرة مع أولياء الأمور وأرباب الأسر في منع الشباب والمراهقين من الصعود على سطح البيت وخلق المشكلات بين الأسر المتجاورة. وسيادة التماسك Cohesion والتضامن الاجتماعي Social Solidarity بين أفراد المحلة.

(١) معايشة الباحث للحياة الاجتماعية في الأحياء الشعبية في المدينة القديمة بوصفه احد أبناء

هذه المناطق.

٢/ الوظيفة الاقتصادية:

إن بعض أفراد المحلة ولاسيما من الميسورين ماديا ومنهم (الأغوات)، لعبوا دورا كبيرا في التكافل الاجتماعي ومساعدة الفقراء والمحتاجين في المحلة. ويتم هذا من خلال الجامع الذي يؤدي دور الوسيط الذي يقوم باستلام المعونات العينية والمالية وأموال الصدقات والزكاة وتوزيعها مباشرة وبشكل دوري ومنظم من خلال قائمة الأسماء الموجودة عند الإمام. ومن مظاهر الوظيفة الاقتصادية بين الجامع والمحلة، إن الجامع كان يوفر الولايم للفقراء من أفراد المحلة وعابري السبيل، وكانت تطبخ في الجامع، ويتعاون المتطوعون من من الساكنين بعمل جماعي حيث تتوزع الأدوار بينهم في التبرع بأواني الطبخ والوقود والمواد الغذائية المتنوعة، ثم القيام بالطبخ والتقديم والتوزيع. ويؤثر عامل القرابة كثيرا في الالتزام بأداء هذه الأدوار والمهام. وهذه ضعفت ولم تعد موجودة بسبب انتقال الأفراد المنظمين لهذه الظاهرة إلى السكن بالمناطق الأخرى، فضلا عن ارتفاع نسبة الفقر والبطالة مما زاد عدد المحتاجين، الأمر الذي جعل من الصعب إقامة الولايم التي تسد حاجتهم.

٣/ الوظيفة التعليمية.

إن الدور التربوي الذي تقوم الجوامع والمساجد يكاد يكون ظاهرة عامة في مدينة الموصل. وفي الجامع تقام العديد من الدورات الدينية للقراءة والتلاوة تحفيظ القرآن والتقوية بتدريس المواد الدراسية للمرحلتين الابتدائية والمتوسطة، ويلعب المعلمين والمدرسين المتطوعين من تخصصات علمية متنوعة دورا في التعليم والتنشئة الدينية. وما يؤخذ على هذه الدورات أنها تقتصر قيامها أثناء العطلة الصيفية، وعلى الفئات العمرية الصغيرة من الأطفال، عكس جامع المحسنين الذي ينشط على مدار السنة في العديد من الدورات التعليمية والتدريسية والدينية. وقد يرجع السبب إلى عدم التزام أفراد المحلة في ذلك،

وتفضيل إرسال أبنائهم إلى العمل لإعالة أسرهم بسبب قلة الدخل الشهري وعدم كفايته لسد احتياجات أفراد الأسرة المتزايدة^(١).

ثانياً: جامع قضيب البان:

هو أبو عبد الله بن عبد الله الأكبر بن موسى الثاني بن عبد الله بن موسى الجون بن عبد الله المحض بن الحسن المثنى بن الحسن السبط بن الإمام علي رضي الله عنهم^(٢)، ولد سنة ٤٧١هـ = (١٠٧٨م) في الموصل وتعلم القرآن وحفظه وهو ابن تسع سنين ثم درس التجويد والعربية وتفقه على مذهب الإمام احمد بن حنبل^(٣). توفي والده وله اثنتي عشرة سنة فكفله عبد الله الحسني ونشأ حسن الشكل والقدر لذا لقبوه "قضيب البان" فغلب عليه هذا^(٤). وكان يأخذ نفسه بالمجاهدات يزور الصالحين - ويأخذ عنهم، مثل الشيخ حياة بن قيس الحراني، والشيخ عدي بن مسافر الهكاري، والشيخ عبد القادر الكيلاني، وكان يصلي إماماً بالشيخ عبد القادر الكيلاني، وتزوج من ابنته، وبعده سافر إلى الحج وعاد إلى الموصل، ولما توفي سنة ٥٧١هـ دفن في داره الذي صار يعرف بمسجد قضيب البان^(٥). وللشيخ قضيب البان رباط يقع خارج باب سنجار كان يسكن به في حياته ودفن فيه بعد موته^(٦)، وكان يقصده الناس للصلاة به وزيارة قبر الشيخ

(١) مقابلة الباحث مع احد ساكني المحلة يبلغ من العمر ٥٤ سنة ويعيل أسرة تتكون من ٩

أفراد في ٢٨/١/٢٠١٢.

(٢) الصوفي، احمد، الآثار والمباني العربية الإسلامية في الموصل، مطبعة أم الربيعين،

الموصل، ١٩٤٠، ص ٨٨.

(٣) الديوه جي، سعيد، تاريخ جوامع الموصل في مختلف العصور، ج ١، المصدر السابق،

ص ٢٦١.

(٤) المصدر نفسه، ص ٢٦١.

(٥) سيوفي، نقولا، المصدر السابق، ص ١٥١.

(٦) المصدر نفسه، ص ٢٦٢.

مظاهر العلاقة بين المحلة السكنية والجامع" المحلة الموصلية القديمة أنموذجاً دراسة اجتماعية أنثروبولوجية-
م. حارث علي حسن

قضييب البان خاصة الاماسي ويقضون وقتهم في الألعاب وركوب الخيل والمباريات، وكان أمام المقام ارض واسعة - وهي التي كانت مقبرة، وعلى مر السنين صارت أرضاً زراعية موقوفة على مقام قضييب البان، ثم شيد عليها الملعب والشركة الإنشائية، وفي الجهة الغربية منه تقع ارض الصينية وهي بستان الشيخ قضييب البان ثم اتخذت قبل سنوات مدفناً لليهود، كان يجتمع بها أهل البلد للنزهة^(١). وكان أهل الموصل يخرجون للنزهة إلى قرب قضييب البان في الربيع وكان أرباب الحرف يقيمون مهرجانات وألعاباً مختلفة في ارض الصينية التي تحت المرقد ويسمونها "حريفانات" مفرد "حريفانة" نسبة إلى الحرفة فيقولون حريفانة العلماء، حريفانة القصابين الخ. . وأكثر ما تكون في أيام الثلاثاء للعلماء والخميس والجمعة لغيرهم - وتقام الصلاة في مسجد قضييب البان^(٢). ومن الأدباء والعلماء الذين دفنوا بالمقبرة، المؤرخ ابن الأثير وأبو تمام حبيب ابن أوس الطائي^(٣). وفي سنة ١٩٥٧م (١٣٧٧هـ) اهتمت مديرية الأوقاف العامة بهدم ما تبقى من البناء وتوسيعه وان بينى جامعاً كبيراً^(٤). وللجامع إمام وخطيب وخادم ومؤذن، ومن جانب الطراز العمراني^(٥). . يحتوي الجامع على مصلى وفناء داخلي واسع، وغرفة للإمام ومصلى للنساء، فضلاً عن أجهزة تبريد وحمّام وأماكن للوضوء ومكتبة صغيرة. ويجاوره ملعب الإدارة المحلية الذي اتخذته قوات الاحتلال الأمريكي قاعدة لها وقامت بتسليمها الجيش العراقي ضمن خطة الانسحاب من البلد، وان وجود هذه القاعدة قد اثار كثيراً على إقبال المصلين للصلاة فيه بسبب كثرة التفجيرات والاشتباكات المسلحة بين

(٥) المصدر نفسه، ص ٢٦٣.

(٢) العمري، محمد أمين بن خير الله الخطيب، المصدر السابق، ص ١١٦.

(٣) العمري، ياسين خير الله الخطيب، المصدر السابق، ص ٩٦.

(٤) سيوفي، نقولا، المصدر السابق، ص ٢٦٧.

(٤) زيارات الباحث للجامع في ٢٠١٢/٢/٢ .

رجال المقاومة العراقية وقوات الاحتلال الأمريكي مما جعل المنطقة شبه مغلقة لكثرة الحواجز الأمنية فيها مما أثر كثيرا على حركة الأفراد فيها. ويقع الجامع على الشارع الذي يصل بين باب سنجار ومحلة رأس الجادة وتفصله مساحات واسعة تشتمل على مقرات أمنية وساحات وقوف سيارات، وهو ما حدد وظيفته في المحلة.



جامع قضيب البان غير ملاصق لبيوت المحلة

وظيفة الجامع

إن علاقة الجامع بالمحلة تأخذ طابعا خدميا، يتجلى في مساعدة الأفراد الفقراء في ترويج معاملاتهم الرسمية من ناحية الطباعة والاستنساخ والتصوير وكتابة العرائض من أبناء المحلة، التي تتعلق بدائرة النفوس والأحوال المدنية والجنسية التي تقع مقابل الجامع^(١). وذلك من خلال التنسيق مع إمام وخطيب

(١) مقابلة الباحث مع عدد من أصحاب مكاتب الطباعة والاستنساخ وكتاب العرائض والمصورين التي تقع مكاتبهم بجوار دائرة النفوس والجنسية بتاريخ ٥-٦-٢٠١٢/٢/٧.

مظاهر العلاقة بين المحلة السكنية والجامع" المحلة الموصلية القديمة أنموذجاً دراسة اجتماعية أنثروبولوجية-
م. حارث علي حسن

الجامع، وذلك بحسب قوائم أسماء الفقراء الموجودة لديهم. وعموماً فإن نشاط الجامع تحدد في هذه الوظيفة وذلك للموقع الجغرافي للجامع الذي لا تجاوره البيوت والمسكن، بل تحيطه مقرات أمنية وساحات وقوف ومييت للسيارات والشاحنات الكبيرة، مما جعل المكان يؤثر في إضعاف دوره ووظيفته مع المحلة بشكل مباشر، واقتصراره على خطب الجمعة وتسهيل ومساعدة الأفراد في ترويج معاملاتهم الرسمية في الدوائر التي سبق ذكرها.

ثالثاً: جامع الإمام الباهر - محلة الشيخ فتحي

جامع الإمام الباهر:

الإمام الباهر ذكر عنه صاحب منهل الأولياء " انه من بناء الملك بدر الدين لؤلؤ" والذي نراه انه إحدى المدارس التي بنيت في العهد الاتابكي، وان بدر الدين لؤلؤ اتخذ فيه مشهداً " للإمام الباهر بن الإمام محمد الباقر، ثم جدد البناء سنة ٦٩٩ على عهد المغول وجدد ثانية في القرن العاشر الهجري^(١). ويقع جامع الإمام الباهر في محلة الشيخ فتحي على تل يقابل تل الكناسة (أو كناس)، من الجهة الشرقية تحيط به مقابر من الشرق والجنوب، كما أن القسم الأكبر من فناءه قد اتخذ مقبرة، وهو إحدى المدارس التي بنيت في القرن ٦هـ بناها احد الملوك الاتابكيين الذين حكموا الموصل، وان المغول الذين اسلموا جددوا كثيراً من المشاهد المنسوبة لأبناء الإمام علي في الموصل ومنها مقام الإمام الباهر، ففي سنة ٦٩٩ جددوا بعض أقسام البناء^(٢). ويحف بالمدخل وحدات زخرفية على شكل محاريب صغيرة وتستمر إلى أعلى المدخل وكلها غنية بزخارف دقيقة،

(١) سيوفي، نقولا، المصدر السابق، ص ١٤٦.

(٢) الديوه جي، سعيد، تاريخ جوامع الموصل في مختلف العصور، ج ١، المصدر السابق،

نقلته مديرية الآثار العامة إلى بغداد وحفظته في المتحف العراقي^(١). وبقي البناء يعرف بمشهد الإمام الباهر إلى القرن ١٢هـ، وكانت نظارته بيد الأسرة العمرية في الموصل ثم تولى نظارته السيد (بكتش) وخاف أن يستعيد منه العمرية توليه المشهد فحدث فيه مصلى واتخذ فيه جامعا يجمع به وأوقف له وسجل الوقف باسمه، وتوفي السيد (بكتش) سنة ١١٧١هـ ودفن على يسار مدخل الحضرة، ورمم سنة ١٩٣٩م^(٢). وان فناء الجامع الواسع أصبح مقبرة عامة لسكان المحلات المجاورة له^(٣).



الباب الوحيد المستخدم للجامع

محلة الشيخ فتحي

نسبت المحلة إلى الشيخ الفتح بن سعيد الموصلية الزاهد المتوفى سنة ٢٢١هـ، كان من محدثي أهل الموصل، سافر إلى البلاد في طلب العلم^(٤). ويقع مرقداه في منطقة خراب الموصل، وكراماته موجودة في إبراء المصروعين وأهل الوسوسة يزورونه^(٥). ونظرا لاتساع المحلة حجما وسكانا فقد امتدت

(١) الديوه جي، سعيد، تاريخ الموصل، ج ١، المصدر السابق، ص ٣٦٢.

(٢) الديوه جي، سعيد، تاريخ جوامع الموصل في مختلف العصور، ج ١، المصدر السابق، ص ١٩٣-١٩٤.

(٣) الصوفي، احمد، الآثار والمباني العربية الإسلامية في الموصل، المصدر السابق، ص ٧٦.

(٤) سيوفي، نقولا، المصدر السابق، ص ١١٣.

(٥) العمري، ياسين خير الله الخطيب، المصدر السابق، ص ١٠٢.

مظاهر العلاقة بين المحلة السكنية والجامع" المحلة الموصلية القديمة أنموذجاً دراسة اجتماعية أنثروبولوجية-
م. حارث علي حسن

وتداخلت مع المحلات المجاورة والمحيط بها. ومنها محلة المشاهدة ومحلة
حظيرة السادة ومحلة خزرج وباب سنجار. ويسكنها قبائل وعشائر عربية، منها
الحياليين والجبور والشرابييين وآل كشمولة.

مظاهر العلاقة بين الجامع والمحلة

١/ الوظيفة الأمنية والاجتماعية:

تقع المحلة قرب الجسر الخامس، وهذا له دور في التأثير على الحياة
الاجتماعية اليومية في المحلة. فأتثناء انهيار الوضع الأمني إبان دخول الاحتلال
الأمريكي للبلاد أصبح الجسر الخامس منطقة مواجهات مسلحة ساخنة، وتوزعت
الاشتباكات المسلحة بين مجاميع مختلفة، منها بين رجال المقاومة العراقية
والاحتلال الأمريكي، ومنها بين أبناء المدينة والمخربين والسراق أثناء عمليات
السلب والنهب بعد انهيار السلطة السياسية وسيادة الفوضى في البلد، فضلاً عن
تلك التي حدثت بين أفراد المحلة وعصابات السلب والخطف من الذي يدعون
أنهم من (المجاهدون)، والذين كانوا يمارسون الخطف الابتزاز والمطالبة بدفع
فدية عن المخطوفين الذين كان أغلبهم من تجار المواد الغذائية وأبنائهم في
السوق الرئيسية في منطقة باب سنجار، والتي تسمى عند أبناء المدينة
(البورصة) نسبة إلى سوق الأوراق المالية الموجود فيها. وكان دور المحلة
والجامع يتمحور بالتنسيق في اتخاذ القرار، مثلاً في إغلاق الأزقة ووضع
الحواجز وسد الطرق أمام لصوص السلب والنهب والتخريب، وإعادة المسرقات
إلى المؤسسات والدوائر الحكومية من خلال الجامع. وكذلك توزيع مجاميع من
الأفراد على الشوارع والطرق العامة للمراقبة وتوفير الأمن واعتراض الغرباء
عن وجهتهم وهدفهم في ظل فوضى وانهيار امني كبير. وان تواجد السوق
الرئيسية للمواد الغذائية قرب المحلة جعل الخطر يقترب منها، بسبب انتشار

للصوص والمخربين وتوجههم إليها بوصفها هدفا لهم. وهذا من التحديات التي واجهته المحلة بالتنسيق مع الجامع ممثلاً بالإمام والخطيب والقائمين عليه. أما الوظيفة الاجتماعية فتتجلى في التدخل لحل المشكلات الاجتماعية التي تأخذ نمط المشاجرات، بشخص الإمام وإصلاح ذات البين بينهم، وإزالة الخلافات العالقة. فضلا عن السعي لمساعدة الشباب على الزواج من خلال مناشدة أصحاب محلات الأثاث والصاغة لدعمهم في توفير ما يحتاجونه وتسييد ثمنه بالأقساط المريحة، وذلك بعد ضمان الجامع لالتزامات الشباب المقبل على الزواج في مواعيد التسديد.

٢/ الوظيفة الاقتصادية:

إن وجود السوق الرئيسي للمواد الغذائية (البورصة) وما يضمه من التجار والميسورين قرب المحلة، سهل إيصال أموال الصدقات والزكاة إلى مستحقيها، وإن الجامع يعد المكان والقناة والوسيط الذي تمر من خلاله الأموال ليقوم بتوزيعها على من يستحقها من الفقراء والمحتاجين. وذلك من خلال تعاون بعض أفراد المحلة مع القائمين على الجامع في التنسيق وجمع الأموال من المتبرعين ولاسيما تجار البورصة المجاورة للمحلة.

أما الوظيفة التعليمية فلا وجود لها في الجامع حالياً وذلك لأسباب عديدة منها، إحاطة الجامع بمقرات أمنية سواء أبراج المراقبة أو الحواجز الكونكريتية أو الأسلاك الشائكة، وهذا ما يدفع الأسر إلى تخوفهم من إرسال أبنائهم ولاسيما مع تعرض هذه النقاط الأمنية إلى الهجمات المسلحة المتكررة^(١). ومما يؤكد هذا أن للجامع ثلاثة أبواب، منها بابين تم إلغائهما وغلقهما وترك باب واحد لدخول وخروج المصلين لأسباب أمنية.

صفوة القول . .

(١) مقابلات الباحث مع عدد من أرباب الأسر الساكنة في المحلة في ١٥-١٦-١٧/١/٢٠١٢.

مظاهر العلاقة بين المحلة السكنية والجامع" المحلة الموصلية القديمة أنموذجاً دراسة اجتماعية أنثروبولوجية-
م. حارث علي حسن

إن الجوامع منذ بداية الحياة الاجتماعية في المجتمع الإسلامي كانت تحتوي على نظم البناء الاجتماعي وأنساقه كلها، التي تؤدي مختلف الأنشطة والوظائف، فكان النسق السياسي Political System يتجلى في مجلس الشورى والتفاوض مع الوفود الخارجية ورسم سياسة المجتمع، ونسقاً عسكرياً Military System عندما تعقد فيه ألوية الجهاد وتتطلق منه الجيوش إلى الفتوحات، أما النسق الاقتصادي Economic System ففيه بيت المال، في حين أن النسق الاجتماعي Social System تجلى بحل الخلافات بين أفراد المجتمع وتوجيه الناس على ضرورة التعاون والتماسك ونبذ التفرقة فيما بينهم، فضلاً عن كون الجوامع دوراً للقضاء وممارسة التعليم وغيرها من النشاطات والوظائف الأخرى ذات الصلة بالمجتمع وشؤونه. وبسبب ظاهرة التغيير Change في المجتمع فإن هذه الأنساق أو المؤسسات إنسلخت وخرجت من الجامع إلى مؤسسات الدولة ممثلة بسلطة الحكومة كمؤسسة سياسية مع بقية الوزارات المختصة بإدارة أنساق المجتمع ونظمها كالتجارة والصناعة والتعليم في الجامعات، والأمن وغيرها. ولكن عندما يتعرض المجتمع للآزمات فإن هذه الوظائف أو الأنساق تعود من حيث خرجت، أي إلى الجامع. ومثالنا على ذلك بعد الاحتلال الأمريكي للبلاد في ٢٠٠٣ وانهيار السلطة السياسية Political Authority وتدمير المؤسسات الرسمية فإن الجامع لعب دوراً كبيراً في استلام سلطة القرار السياسي بتوجيه الناس إلى إعادة المسروقات والتوقف عن أعمال السلب والنهب. وكذلك أصبح مكاناً لتقديم الخدمات الطبية وتوزيع المعونات المادية على الناس.

إن العديد من العوامل تؤدي دوراً مهماً في تحديد نوع وطبيعة العلاقة الوظيفية بين الجامع والمحلة الموصلية القديمة، ومنها العامل المكاني، فإذا كان موقع الجامع يتوسط مورفولوجية المحلة فسيكون مركزاً للنشاطات المختلفة بوصفه محورا لها، وفي الوقت ذاته تؤدي المحلة واجباتها تجاه الجامع من خلال

ادوار ساكنيها وأفعالهم. مثال ذلك عند توزيع معونات مادية أم عينية أم مالية، فسيخصصون حصة للجامع^(١)، وكأنه احد بيوت المحلة الواجب التكافل معها، فكيف الحال لبیت الله (سبحانه وتعالى). أما إذا كان معزولا عن المحلة وبيوتها، لكنه قريبا من دائرة رسمية حكومية فسيتحول على الأغلب نشاط الجامع إلى دور أشبه ما يكون بمساعدة الأفراد على تصريف أعمالهم وتيسير وتسهيل ترويح وانجاز معاملاتهم ماديا على وجه الخصوص (كتابة الطلب والطباعة والاستنساخ والتصوير ودفع رسوم المعاملات)، مثل جامع قضيب البان. وكذلك العامل الاقتصادي يؤثر في تحديد طبيعة الوظيفة الاقتصادية، وتتجلى في نسبة الميسورين المتبرعين، وهذا ينعكس على مدى التكافل ومساعدة المحتاجين. فضلا عن العامل الاجتماعي الذي يتمحور حول نشاط أفراد المحلة من الوجهاء والميسورين ومدى اندفاعهم وقدرتهم واستعدادهم على تقديم المساعدة وخدمة الجامع. وهذا تباين تأثيره بين الجوامع الثلاثة ومحلاتها.

النتائج:

توصل البحث إلى جملة من النتائج وتتجلى في:

- ١- إن المحلة تؤدي دورا كبيرا ومهما في التنظيم الاجتماعي للمجتمع.
- ٢- إن الجامع يمثل مؤسسة اجتماعية يؤدي وظائف مهمة في المجتمع على مستوى الأفراد والجماعات.
- ٣- أن هناك علاقة مظاهرها التساند الوظيفي بين المحلة والجامع في الأحياء القديمة في الموصل.
- ٤- يلعب عامل المكان دورا مهما في تحديد العلاقة الوظيفية بين الجامع والمحلة السكنية القديمة.

(١) مقابلة الباحث مع أستاذ الانثروبولوجيا الثقافية المساعد موفق ويسى، وهو أستاذ في جامعة

الموصل نشأ في المحلة الموصلية القديمة، في ١٠/١٢/٢٠١١.

التوصيات:

- ١- الاهتمام بالمساجد والجوامع الداخلية في الأحياء القديمة من الناحية العمرانية والحضارية في مدينة الموصل لما لها من دور مهم في تماسك وتضامن الجماعات الاجتماعية في المجتمع.
 - ٢- إقامة الندوات والحلقات النقاشية لتوعية وتنقيف الناس بأهمية المحلة الموصلية القديمة للمحافظة عليها باعتبارها تراثاً معمارياً.
- توظيف الإعلام في التوجيه على ضرورة المحافظة على مورفولوجية المحلة في طرازها العمراني بوصفه إرثاً وتراثاً ثقافياً وحضارياً.

Aspects of Relationship between the Living Quarter hood and the Mosque: The Old Mosuli Quarter hood as a Model: A Socio-Anthropological Study

Lect. Harith Ali Hasan

Abstract

Mosque is an important part of the morphology of old locality relations, and its relatively adorned makes it a hub for social interaction, as a center of spiritual and psychological values. The camp they in turn carry out the functions of several different and varied toward the mosque through the activities of its social and economic group, educational and psychological. Researcher felt doing this research to find out the aspects of the relationship between the mosque and the old locality relations. Reling on the constructivist theory perspectives in my career as an input to search. The curriculum is a case study approach. As well as Alsosauantropouluggi trend. The research tools to gather information, interview and simple observation, as well as participant observation as part of the reaearch community respondend. The search found a set of the most important results, that the mosque is a social institution multifunctional and has a significant role in the social life of the old locality .